قتلوها مرتين

■ في الاول من أيار (مايو) ١٩٧٥، دعانا الزميل طلال سلمان ـ الزملاء في «السفير» ـ الى تمضية يوم كامل في جرود بعلبك ـ الهرمل. يومها، كانت نايفة نجار حماده صبية في السابعة والعشرين، تحتضن طفلا في حوالى الثالثة، اسمه علي. ويومها، عرفنا ان السكرتيرة الحسناء أرملة. غرق زوجها في مياه الخليج، فكرست حياتها لتربية وحيدها.

من أيار (مايو) ١٩٧٥، الى ٢٥ اذار (مارس) ١٩٨٤، لم تتغير «ام علي». ظلت تلك الارملة التي يمتزج الحزن الدفين في قلبها بالامل الذي يكبر مع كل عام تطفىء فيه شمعة جديدة لوحيدها. ظلت تلك الانسانة الرقيقة الشفافة التي تفرض عليك احترامها بالقدر الذي تظهر لك من الاحترام. ظلت الزميلة التي تتحسس مسؤوليات عملها، والام التي تتحمل مسؤولية تربية ولدها. ظلت هي هي، حتى يوم ٢٦ آذار (مارس) الماضي عندما انتظرت وصول «علي» من القماطية ـ بلدتها ـ الى بيروت. وغابت قبل ان يصل.

الاسابيع والشهور تمر، ونايفة الحزينة، المسكونة بالفجيعة، تحيا على أمل لم يتحقق. كان ايمانها بالله كبيرا، وكانت على ثقة من ان ابنها سيعود اليها. لم تترك باب مسؤول الا وطرقته. لم يقل لها احد انه ربما كان في هذه الثكنة او ذاك المعتقل، الا وهرعت بحثا عن ولدها.. أملها الذي تعيش من اجله. لكن الاسابيع والشهور كانت تمضي، ومعها، كان الامل يتضاءل، ونايفة تزداد نحولا، والحزن يتأصل في اعماق اعماقها.

وبعد تسعة شهور على «اختفاء» علي، يبدو أن نايفة يئست تماما من عودة ابنها اليها، فقررت ان تلحق به ـ اذا كان شهيدا ـ، او ان تسبقه، علّ موتها يحرك الضمائر.

بعد تسعة شهور، قررت نايفة نجار حماده ان تكون أول ضحية لذوي المخطوفين والمفقودين، وان تسجل انها اول لبنانية تُقتل مرتين: مرة يوم خطفوا ابنها، ومرة اخرى يوم وضعت حداً لحياتها.

رحم الله نايفة.. ■ ■

فاروق عبد الكريم

١/٧
١٩٨٥